البيئة المدرسية وسلوكات التلميذ العنيفة

الأستاذة: فرشان لويزة
قسم علم النفس وعلوم التربية
جامعة الجزائــر

ملخــص:

يتناول هذا المقال موضوع العنف الصادر من طرف التلميذ في الوسط المدرسي إذ تحاول الباحثة من خلاله محاولة التطرق لبعض العوامل التي قد يكون لها انعكاسا كبيرا على سلوك التلميذ العنيف.

مقدمــة:

إن العنف كسلوك، يستخدمه بعض الأفراد في تفاعلاتهم اليومية، وفي أي مكان يتواجدون فيه. قد يتسبب في بعض الحالات في إصابات خطيرة، يصل أحيانا إلى القتل دون أية محاولة من الفرد للتحكم في اندفاعاته البدائية، فيصبح مثله مثل الحيوان خاضعا لغرائزه بطريقة عمياء محاولا إشباعها بصفة غير سوية، قد يلجأ الأفراد لأبشع أنواع العدوانية والوحشية لتحقيق رغباتهم، أو للحصول على مبتغاهم. ومما يلفت الانتباه لمثل هذه السلوكات، الحالية التي آل إليها الفرد في الأزمنة الحالية. لوحظ في العشرية الأخيرة انتشار ظاهرة العنف في معظم الدول والمجتمعات وعلى كل الأصعدة، السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية. وتمثلت في اعتداءات وهيمنة الدول

القديمة على الضعيفة منها وتوسعت رقعة هذا العنف إلى الأفراد. أصبحت العدوانية متداولة بكثرة بين مختلف الأفراد بتنوع مستواهم الاجتماعي والاقتصادي أو العمري. وأثارت هذه الظاهرة حيرة كل الأطراف والهيئات الحكومية والتربوية للبحث في سبب تفشي وحدة العنف.

العنف سلوك قديم قدم الإنسانية، تداوله الأفراد عبر مختلف العصور، إلا أنه أخذ مشكلا آخرا، كانت له دوافعه الحتمية كالصراعات على ضمان الحياة، أو بغرض توفير الأمن الجغرافي ثم أخذ في التراجع والاختفاء مع مرور الزمن. ثم حدث انفجارا كبيرا من شحنة العنف والعدوانية بشكل مذهل ومخيف، فالعديد من الفئات الاجتماعية، تلجأ إليه كوسيلة لحل الصراع في مختلف المجتمعات. لم تنجو منه الشوارع، الملاعب وحتى المؤسسات التربوية لحقها الأثر السلبي لهذا السلوك الخطير الهدام. أصبح الفرد – والمؤسف له، حتى الأطفال – يعبرون عن أحاسيسهم ورغباتهم عن طريق لغة العنف، إذ أصبح هذا الأخير وسيلة للتواصل والتفاعل بين الأفراد.

تعرض مجتمعنا لهذه السلوكات المنحرفة، كانت لها البداية في أحداث أكتوبر 1988 الدامية، ثم في أعمال فئة من الجماعات الإرهابية والتي تمثلت في تصرفات جد عنيفة ودامية ذهب ضحيتها الآلاف من المواطنين الأبرياء وإتلاف العديد من الممتلكات الشخصية والعامة، ثم تطورت الأحداث واتسعت رقعة هذه السلوكات غير السوية لتعم العديد من الشوارع والملاعب والمدارس عبر ولايات الوطن، عانى من جرائها الصغار والكبار، وما يستحق الالتفاتة أكثر هو العنصر الذي يقوم بهذه

السلوكات العنيفة من أطفال ومراهقين، حيث سجلت العديد من الأحداث المتعددة تورط أطفال متمدرسين وآخرين غادروا مقاعد الدراسة.

و من الملاحظ أن أعمال العنف الصادرة من طرف الأطفال لا تكاد تختلف عن تلك التي يقوم بها الكبار، وقد تسبب بعض الأطفال أو التلاميذ في إحداث كسور من جراء تعرضهم لمعلميهم، أو قتل زملائهم أو بعض الأشخاص الراشدين، و في هذا السياق تبين لأكاديمية الجزائر الوسطى في سنة 2000 في دراستها حول العنف لدى التلاميذ في محافظة الجزائر الكبرى أن 80% من السلوكات العنيفة في الوسط المدرسي يوجد بين التلاميذ فيما بينهم، ويتمثل في العنف اللفظي، أما 20% من العنف حدث بين التلاميذ والمعلمين.

تعددت الآراء والنظريات التي حاولت تفسير الأسباب التي قد يكون لها التأثير الكبير على سلوك الأطفال العنيف، فمنها من أرجعها للمحيط الإجتماعي الذي يتواجد فيه الطفل، ورأت أخرى أن المستوى الاقتصادي المنخفض لأسرة الطفل والذي يؤثر سلبا في سلوكاته اليومية مع كل المحيطين به، كما تؤكد نظريات أخرى على الحالة النفسية التي يكون عليها الطفل والتي قد تولد فيه نزعة للعنف والعدوان.

و مثل هذا السلوكات السلبية قد تكون مؤشرا لتوتر حالة الطفل النفسية. يعتبر العنف أحد الخصائص التي يتصف بها كثيرا من الأطفال المضطربين سلوكيا وانفعاليا (أحمد يحي خولة، 2000، ص 185).

والمقال الحالي يعمل على محاولة الكشف عن العوامل التي قد تكون الباعث على قيام الأطفال بمثل هذه السلوكات المنحرفة والخطيرة. ولقد ركزنا على وسائل الإعلام، والتي تعتبر كمصدر ثاني لعملية تنشئة الأطفال.

إذ أصبحت تحتل مكانة مرموقة في عملية ترسيخ الاتجاهات والقيم لمختلف الثقافات في أذهان الأطفال وتعمل على صقل شخصياتهم وبالتالي تعكس ما تقدمه من واقع ويتقمصه الأطفال في الواقع.

و لوحظ في السنوات الأخيرة اتساع رقعة العنف وانتشارها المذهل في كل الدول والمجتمعات المتقدمة منها والسائرة في طريق النمو، أصبح كوسيلة للتفاعل بين الأفراد أينما يتواجدون. لقد لجأ إليه كل من رجال السياسة واللاعبين والمواطنين العاديين، إذ أصبح يستخدم لأول محاولة تفاعلية كحل مسبق عند تواجد أي توتر أو صراع وسوء تفاهم بين طرفي أي علاقة مهما كان نوعها أو طبيعتها، والمدرسة كوسط تفاعلي، تتكون فيها علاقات مختلفة بين كل من التلاميذ والمعلمين لكل عنصر من هذه الأطراف أدوار ومكانة خاصة تخول له مهام وتصرفات محددة بحكم الصلاحيات الموكلة إليه داخل المؤسسة التربوية، إذ لاقت العديد من المدارس في الآونة الأخيرة، بمختلف أطوارها مشاكل علائقية أثرت على السير الحسن للعملية التعليمية وعلى الجو التفاعلي بالمدرسة.

تعرضت المدارس إلى مشاكل ناتجة عن سلوكات التلاميذ ومواقف ذات طبيعة عدوانية واستفزازية استهدفت بعض التلاميذ والمعلمين و المؤطرين التربويين، أشكال عديدة من السلوكات السلبية من عنف جسدي ولفظي، أو تهديد يلجأ إليها بعض التلاميذ كقذف مدرسيهم بالحجارة، فحتى الأقسام الدراسية التي كان من المفترض أن تكون لها هيبتها المقدسة، أخذ العنف مكانا له فيها سواء كان ذلك بين التلاميذ فيما بينهم أو بين التلاميذ والمعلمين، أو بين التلاميذ والطاقم المدرسي كما اصطبغ هذا السلوك العنيف بأشكال عديدة تمثلت في بعض السلوكات كالشتم والتهديد الجسمي واللفظي

من طرف التلميذ داخل الحرم المدرسي بصورة لم يسبق وأن عرف لها مجتمعنا مثيل، سلوكات خطيرة وصلت إليها مؤسساتنا التربوية اعتدي من خلالها على المعلمين لأتفه الأسباب. فكم من تلميذ تسبب في قتل زميل له أو الاعتداء جسديا على معلمه، كما حدث في ولاية تيبازة عند وفاة معلم على أيدي تلميذته، أو عمليات التهديده أو تحطيم ممتلكات المدرسة.

نقف أمام هذه السلوكات السلبية متأملين في الدافع والمحرك الأساسي الذي قد يكون سببا رئيسيا للعنف.

اختلفت الآراء والنظريات في مختلف الميادين وخاصة في علم النفس حول العوامل التي بإمكانها أن يكون لها الدور الرائد في قيام الفرد بمثل هذه السلوكات العنيفة الوحشية فنجد البحوث التي ترجع أسباب العنف للعوامل الاقتصادية، ومنها التي تربطها بالمحيط الاجتماعي لأسرة الفرد العنيف. كما يرى بان **J. Pain** أن العنف هو ظاهرة مرتبطة بأزمة اجتماعية واقتصاديــة وهي أزمة ذات بعد مركب ومبني من عدة عناصــر (**J. Pain. 1986, p 9**)، و توصلت دراسات أخرى إلى أن اندفاع الفرد لاستجابات عنيفة مرتبطة بالإحباط الذي يتلقاه من محيطه، كالافتقار لمشاعر العطف والحنان والتقبل الوالدي الذي يتغذى به الطفل، ويرجع بعض الباحثين أسباب العنف لمشاعر النقص التي يكونها الفرد، وخاصة في سن الطفولة، وقد تأكدت هذه النتائج لزينب محمود شيفر 2004 تبين فيها أن حرمان الأطفال العاطفي والإعاقات الجسدية التي يعانون منها تولد لديهم سلوكات عنيفة وعدوانية، كما توصل جو **Jo** روبر **Robert** إلى أن الطفل الذي يعاني من عدم تقبل والديه له، و رفضهما يكون لديه استعداد كبير للقيام بسلوكات عنيفة.

و يتحـــدث بندورا **Bandura** عن عمليـــة التقليد والنمذجة عن طريـــق الملاحظات والمشاهد التي يلاحظها الطفل من محيطه سواء كان ذلك من داخل الأسرة، من جراء الجو المشحون بالعنف بين أفراد الأسرة، أو لرؤيته لسلوكات وحوادث عنف خارج أسرته.

إن السلوكات التي يقوم بها المتمدرس في القسم أو في الساحة هل هي انعكاسا لما يشعر به أو استجابة لبعض المثيرات المدرسية؟ أم هي نتيجة لأثر المدرسة على تصرف التلميذ؟ ما هي العوامل التي قد يكون لها الدور الهام في قيام الأطفال بسلوكات عنيفة غير عادية؟

المقال الحالي يحاول التطرق لبعض العوامل التي قد تؤثر بطريقة أو بأخرى على سلوكات التلميذ مساهمة في ذلك بتميزها بكل أنواع العنف والهمجية.

لوحظ في السنوات الأخيرة انتشار ظاهرة العنف في الوسط المدرسي في العديد من الدول، وقد تطورت هذه السلوكات المنحرفة إذ وصلت حتى القتل تسبب فيه التلاميذ فيما بينهم، وقد تفشت هذه السلوكات الإنحرافية في كل الأطوار الدراسية، لم ينجو منها حتى المعلمين – الذين كانت لهم مكانة مقدسة لدى التلاميذ–من عنف تلاميذهم وبطشهم. والمدرسة الجزائرية كمؤسسة ذات نسق مفتوح تعاني هي كذلك من عدوى العنف داخل حرمها فبلغت هذه السلوكات ذروتها وامتد العنف إلى الأقسام الدراسية وذهب ضحيتها كل من التلاميذ والمعلمين والطاقم المدرسي. ولهذا ركزت صاحبة المقال على بعض العوامل التي يفترض أن تكون سببا في لجوء التلميذ لمثل هذه الاستجابات السلوكية العنيفة، بما فيها تلك المرتبطة بالمحيط المدرسي للتلميذ وخاصة العلاقات المدرسية.

تحديــد المفاهيــم:

بعد القراءات المتعددة والمتعلقة بمفهوم العنف، لاحظنا أن هناك اتفاق بين العلماء والباحثين في ميدان العلوم الإجتماعية والإنسانية رغم تنوع وجهات نظرهم في تحديد مفهوم العنف إذ أننا نجد أن جل التعريفات تكاد تتشابه فيما بينها، وفيما يلي ذكر البعض من هذه التعريفات:

فكروزوني وآخرون Crozoni يعرفه على " أنه نوع من السلوكات أو الأفعال المصحوبة بالغضب والتوتر والكراهية، وهو سلوك مشحون بالإنفعالات المركبة، كما يمثل حالة من الدافعية لعدد من النماذج السلوكية الأخرى، ويقصد به كل سلوك يؤدي إلى إيقــاع الأذى بالآخرين ســواء بطريــق مباشــر أو بطريق غير مباشر مع الاستمتاع بنتائــج الأذى" **(Crosoni 1979, p15).**

أما شفيق فيرى بأن "العنف هو أي سلوك يصدره فرد أو جماعة، صوب فرد أو أفراد آخرين، أو صوب ذاته لفظيا كان أم جماعيا، إيجابيا كان أم سلبيا، مباشرا كان أم غير مباشر" (شفيق، 1996، ص247).

نظريــات العنــف:

يختلف العلماء والباحثين في تفسيراتهم لدوافع السلوكات العنيفة، فكل فئة منهم ترجع الأسباب الرئيسية لهذا السلوك لميدانها النظري المتخصصة فيه:

- فبالنسبة للاتجاه البيولوجي، يرى أصحابه أن سبب لجوء الفرد للعنف والعدوان هو تكوين بيولوجي لدى الشخص، إذ يوجد بعض الأفراد الذين يميلون لسلوكات بدائية تتميز بصبغة شرسة، كما توجد فئة أخرى من هذا الاتجاه ترى بأن الفرد العنيف يتصف عن غيره من

الأفراد بزيادة كمية الهرمونات الذكرية، وبالتالي يندفع أكثر للقيام بالعنف والجرائم.

- أما نظرية التحليل النفسي، بزعامة فرويد، فبالنسبة لمبادئها العنف يرجع إلى طاقة بيولوجية تنقسم إلى نزعات بدائية ودوافع الموت العدوانية والتي تكون موجهة نحو الآخرين كما قد يوجهها الفرد نحو ذاته ويتحول إلى الانتحار.
- بينما نجد أعلام نظرية التعلم، وعلى رأسهم باندورا **Bandura** يرون أن هناك ثلاثة أبعاد تعتبر سببا في استخدام الفرد للعنف تتمثل في ملاحظة العنف وتعلمه ثم تقليده، وتتم هذه العمليات من خلال تواجده في مجتمع يعمه الشجار والعنف، أو مشاهدة صور للعنف سواء كان ذلك بطرق مباشرة في محيطه الأسري أو خارجه، ومن خلال تفاعله معهم، أو بصورة غير مباشرة كمشاهدته للعنف على شاشة التفلـــزة.

<u>أسبـــاب العنف:</u>

تتضارب الآراء حول العوامل التي قد تدفع بالأفراد للقيام بسلوكات عنيفة وعدوانية سواء كانت ضد الآخرين أواتجاه أنفسهم ونحاول الإلمام بالبعض منها.

* **العوامـــل الإجتماعيـــة:** إن الوضع الإجتماعي الذي يتواجد فيه الفرد لا يقل أهمية في تأثيره على الفرد عن باقي الحالات التي يعيشها، كما أن العوز وفقدان الفرد لبعض الحاجات التي تدخل ضمن العوامل الاجتماعية يتسبب في تعاسته وفقدانه للأمل والمعاناة، كمستوى الفقر الذي يعاني منه، أو البطالة والرفض الاجتماعي، كل هذه عوامل تؤثر على المعاش النفس-اجتماعي للفرد، وبالتالي تتغلب على كل قواه أو أية محاولة منه لمقاومته

لمثل هذه العراقيل فيقع فريسة لأوضاع المجتمع القاسية، مما يدفعه للتصرف بسلوكات قد تكون عشوائية وخطيرة، ولقد توصلت بعض الدراسات والبحوث إلى أن المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع يلعب دورا فعالا في خلق السلوكات العنيفة لدى الأفراد في حالة ارتفاع معدلات بعض الظواهر كالبطالة والغش وهيمنة المؤسسات الحكومية واللامساواة بين المواطنين، ويرى ميشال سرسو أن سبب قيام الأطفال بالعنف يرجع للفقـــر والحالة الإجتماعيـــة السيئة التي يتواجـــد فيها **(M. Serseau, 2000, p72)**. إذ تتدهور الأوضاع بين أفراد المجتمع وتظهر كل أنواع السلوكات غير المشروعة وتعم الفوضى الإجتماعية وتصبح هـــي السبب الرئيسي لانتشـــار العنف الهـــدام المدمـــر **(Hacker, 1972, p 110)** لأن الفرد يتأثر بالوضع المادي والاجتماعي الأسري الذي يعيش فيه، حيث يجد نفسه محروما من تلبية واشباع حاجاته اليومية فيشعر بالضيق والتوتر والعجز فيفشل في الوصول لمبتغاه وتحقيق انتظاراته، فلا يجد أمامه إلا الخشونة في تعاملاته كتعبير عن عدم رضاه للأوضاع التي يعيشها، وتأكدت هذه المعطيات لدافيد لبوتر **David Lapoutre** حيث تبين له في دراسة حول ظاهرة العنف أن المشاكل الاجتماعية المختلفة التي يعشها الفرد والرفض الاجتماعي يؤدي إلى لجوء الفرد للتصرف باستجابات عنيفة.

* **العوامل الأسريـــة:** إن الأسرة باعتبارها الخلية الأولى المسؤولة عن تكوين شخصية الفرد واكتساب قيمه واتجاهاته وتوجيه سلوكاته، تلعب دورا هاما في دفع الطفل لأن ينحرف أو أن يكون فردا صالحا، ناجحا، ولا يتم هذا إلا عن طريق عملية التنشئة الإجتماعية منذ سن جد مبكرة

للطفل، فالفضاء الأسري وما يحمله من عمليات التواصل بين الآباء والأبناء، وطرق معاملة الوالدين ورعايتهما التربوية والنفسية، عوامل لا نستطيع إنكار أثرها في مدى سلامة الصحة النفسية للطفل وفي طبيعة كل من السلوكات التي يقوم بها سواء داخل محيطه الأسري أو خارجه. كما لا ننسى النماذج السلوكية التي يعامل بها الطفل من طرف والديه من عقاب أو تسلط، أو رفضهما، فكل هذه الأساليب الوالدية أثبتت بعض الأبحاث أنها تساهم في تلقي سلوكات عنيفة لدى الطفل، إذ يتعلم الطفل العنف على أساس الطرق التي عومل بها، وقد اتضح لبومرنيد وآخرون 1996 في دراسات لعدة بلدان أن العنف لدى الأطفال يرجع للعقاب الذي يتعرض له هؤلاء الأطفال في أسرهم، كما يتأثر الطفل بالعنف الذي يشاهده من خلال تسلط أحد والديه على الآخر إذ يصبح يفقد الأمن والطمأنينة الأسرية، وبالتالي تتولد لديه شحنة سلبية عدائية خاصة في المحيط الخارجي مدفوعة بالرغبة في الانتقام للوالد الضحية.

* **العوامـــل الثقافيـــة:** إن الثقافة بكل ما تحمله من عناصرها المتشعبة تلعب دورا هاما في تكوين الفرد وإعداده بأنماط مختلفة من السلوكات، والعنف باعتباره كأحد أنواع السلوكات، ممكن أن يكتسبه الطفل خلال الخبرات التي يمر بها، ولا يكون للفطرة أي دخل لها في عملية تعلمه لهذا السلوك، قد تنقل المكونات الثقافية من خلال التفاعلات المتواجدة بين أفراد هذا المجتمع، أوعن طريق هيئات ومؤسسات المجتمع الذي يتواجد فيه الفرد كالتجاوزات الإدارية واللامساواة بين الأفراد، أو اتصاف ثقافة المجتمع ببعض الخرافات والعادات التي تحمل في طياتها رموزا للعنف والوحشية والسيطرة (مصطفى حجازي، 1980 ص3) فالمجتمع الذي

يتكلم فيه الأفراد بلغة الصراع الجسدي، يكون كنموذج للأطفال، يسهل فيه اكتساب مثل هذه السلوكات، كالمجتمع الأمريكي الذي يكتسي طابع ثقافته العنف والجرائم، حيث يذهب ضحيته العديد من الأرواح، إذ تقع جريمة سرقة كل أربعة ثوان وتسجل مختلف أنواع الاعتداءات في كل 48 ثانية، كما تساهم الظواهر الاجتماعية التي تسود فترة معينة في المجتمع في التشجيع على القيــام بكل ما تمته صلة بالعنف، فقد تأكــد لباجلي و**Pajilo** 1984 أن انتشار ظاهرة العنف في المجتمع يشجع الأطفال على سلوكهم بطرق عنيفة.

* **العوامــل الحكوميــة:** يتميز المجتمع أو الدولة مهما كان أسلوب نظامها المطبق، باحتكار سلطة ضاغطة على الأفراد حيث يرى حناح **Hannah** أنه لا توجد سلطة إلا وتقوم باستعمال العنف، فقد يلجأ البعض منها إلى المبالغة في التسلط والجبروت، كما قد تستخدم دول أخرى طرقا تشرعن فيها العنف والعقاب عن طريق جماعات أو هيئات خاصة، كما قد يتمثل العنف الحكومي في تطبيق هذه الأخيرة لقوانين وعمليات تعسفية ضد بلد آخر.

إن ردود أفعال المتضررين تختلف، فمنهم من يستسلم ويكون مصيره الجوع أو الهلاك، ويردون آخرون على هذه التجاوزات بعنف آخر يختلف في الحدة والطرق، و تعتبر هذه في نظر الأفراد كحق لهم تعبيرا عن ما افتقدوه من كرامة أو حاجات مادية من طرف هيئة رسمية، لأن هذه السلطة والتي من المفروض أن تحمي وتفرض القوانين، نجدها تملك سلطة التعدي والقهر والقتل **(Jamine, 1986, p 45)** تجعل من الفرد فاقدا

للأمل في الاستقرار والنجاح وإشباع حاجاته، وعليه، فهو سريع التوتر والثورة وقابل للاندفاع للقيام بسلوكات متطرفة من العنف.

وسائـــل الإعـــلام: إن لوسائل الإعلام بمختلف أنواعها دورا في تعليم الطفل شتى أنواع العنف، تعمل من خلال براعة إنتاجها و سحرها على جذب المشاهد الصغير وتغيير سلوكه بعد عملية المشاهدة وتقليد مختلف وسائل العنف بقصد الاعتداء أو الإيذاء، بفرض التجريب والتباهي لما قد شاهده وانبهر به، محاولا تطبيقه على الواقع. فعملية التلقي والتأثير والتعامل مع المشاهد أو المحتوى، كما تختلف عملية التأثير والاقتناع من فئة الصغار عن الكبار في بعض العمليات النفسية، وقد أوضح دوفلار **Defleur** هذه العملية من خلال العناصر الهامة في عملية التأثير والدوافع التي تجعل الطفل "كعبد" وقد وضح لنا دوفلار سيرورة هذه الآليات في الشكل الآتـــي:

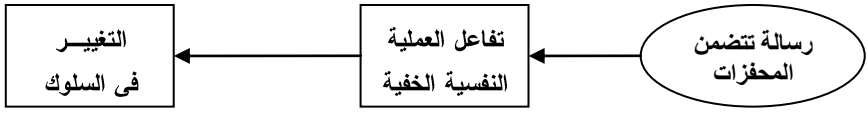

فهذه الوسائل تعمل على جلب الطفل بطرق شديدة التطور فيها كل ما يدع للإعجاب والميل إليها، ويزداد تمسك وانصياع الطفل وتفاعله بما يشاهده، الحالة الانفعالية والخبرات التي يمر بها في وسطه الأسري، إذ يتضاعف تأثيرها للطفل في حالة ما إذا كان يعاني من نقص عاطفي، أو فراغ أو مشاكل أسرية فيلجأ إليها ويخصص كل وقته فيسهل التفاعل معها ويزداد التأثر بها، فيقتدي بها ويصبح يطبع سلوكه بسلوكات أبطال التلفزة و مقاهي الأنترنت، وقد شاهدت شوارعنا وفناءات مدارسنا كل أنواع

السلوكات السلبية من عنف وتهديد يزداد تفاقما في مختلف الأحياء بشتى مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية.

البرنامـــج الدراســـي: مسايرة للعولمة التي فرضت نفسها على كل المعمورة اقتصاديا وثقافيا وتكنولوجي، أصبح لزاما على الأنظمة التربوية كهيئة ناقلة للثقافة والتعليم والتعلم، مساير هذا التحول التكنولوجي بصورة كبيرة في تكوين الفرد وتهيئته للمواطنة وتحضيره لخوض متطلبات اقتصـــاد السوق وكل ما يستلزمه من كفاءات وموارد بشرية مؤهلة، لذا وجب علينا مواكبة هذه الدول المتقدمة لإدخال مناهج وطرق تدريس براغماتية تتماشى مع ثقافتنا، ومعاييرنا الاجتماعية، وعليه وجب الاهتمام بحاجيات التلاميذ وميولهم بتسطيرها ضمن هذه المناهج. وقد تفطن لهذه النقطة كل من روسووجيمس **rousseau&james** وأشارا لأهمية وضرورة تكييف المنهج لمتطلبات واستعدادات المتمدرس. إذ تعتبر هذه المناهج حجر أساس كل عملية تربوية فهي تتحدد من خلالها الأهداف والمواد الدراسية والطرق البيداغوجية ووسائل الإيضاح والحجم الساعي وطرق تقييم التلميذ. ولقد تعرضت هذه البرامج لتطورات مختلفة بغرض السهر على تكوين الأجيال بطرق صحيحة وبتخطيط محكم بعيد عن كل محاولة ارتجالية. إن عملية التطبيق المنهجي للبرامج المدرسية تساهم في إشباع حاجات التلميذ المختلفة وغرس قيم واتجاهات تتماشى مع المحيط النفسي _ الاجتماعي للمتعلم، مساهمة في ذلك على تلقينه ثقافة احترام الأخر ونبذ العنف، كما يتسبب سوء التخطيط للبرامج في تذبذب سير العملية التربوية في القسم من خلال سلوكات معارضة بدءا بالتشويش إلى الاعتراض وما شابه ذلك من سلوكات سلبية من طرف المتعلمين، وقد تبين هذا لديبي **DUBET** 1991

في بحث له تأكد له فيه علاقة وتأثير صعوبة وكثافة البرامج على سلوكات المتمدرسين المتمثلة في العنف يعبرون من خلاله عن عدم تمكنهم من إتباع وتيرة البرنامج، كما يزيد من عدم الجدوى أو الاستفادة من محتوياته المسطرة لدراستها. وهذا يؤدي بالتلاميذ كما وجد كل من لاسي **Lacey 1970** وبال **Bale** 1981 إلى الاستهزاء بالمدرس والثورة ضده.

النشاطـــات المدرسيـــة: يمر التلميذ ببعض الضغوطات والتوترات الناتجة عن التعب اليومي الذي يترتب عن الساعات المعتبرة التي يقضيها بالمدرسة، وكل ما يصاحب ذلك من تراكم الدروس وكثافة البرامج ناهيك عن التصادم المستمر نتيجة التفاعلات المتضاربة الممكن حدوثها بين المدرس وتلاميذه التي يكون مصيرها _ في معظم الأحيان تمرد وثورة التلميذ على سلطة المعلم، والقلق المستمر-. هذه كلها عوامل تقف وراء الاستقرار النفسي للتلميذ وتعبه الجسدي والفكري، وضجره من الجو الذي يعيشه داخل القسم، ومن أجل كل هذا وجب الاهتمام بالنشاطات المدرسية قصد التخفيف من حدة هذه التوترات أو التغلب عليها.

فنجاح وتوافق المتمدرس لا يتوقف فقط على الجانب البيداغوجي، بل يرتبط أيضا بالاستقرار النفسي كما يرى بروست **A.Prost** أن أزمات التعليم ليست فقط مرتبطة بالجانب البيداغوجي بل هي أزمات خاصة بحياة التلاميذ الترفيهية، فالراحة النفسية ذات اثر لا يستهان به، فثورة الشباب ما هي الا تعبير عن شوء تكيف وسوء استقرار(**hillip: 2001, p 50**) كما تساهم هذه النشاطات المختلفة في تمسك المتعلم بالمدرسة و التنفيس عن الضغوطات التي يتعرض لها.

فالنشاطات كما يرى تراي **Toraille** هي بمثابة حلقة وصل بين أطراف العملية التربوية، تكمن أهميتها في دمج التلميذ في الجماعة **R. Toraille, (1980, p 42)** كما يتزود المتعلم من خلال ممارسته لهذه النشاطات بفروعها المختلفة بطاقة وحيوية و قدرة لتجديد الطاقة المبذولة يوميا، وتهذيب أفكاره وردود أفعاله، ناهيك عن عمل هذه النشاطات ودورها في تعليم التلميذ روح المسؤولية واحترام أراء الغير و كذلك تعتبر كمجموعة من الأفعال التي تحاول المنظمة التعليمية التكيف مع حالات محددة كما تساهم في بناء الجانب النفسي _ الاجتماعي والحركي للتلميذ، وتساعد في التخفيف من حدة الضغوطات والتناقضات الممكن حدوثها.

التقويـــم: لا نستطيع الحكم على أي فرد أو مشروع مهما كان هدفه وقيمته بأنه ناجح أو متطور كما وكيفا إلا من خلال عملية التقويم، يتم من خلالها إعطاء قيمة أو درجة للعمل المقدم أو قدرات واستعدادات الفرد المبذولة أثناء قيامه بعمل ما سواء تعلق ذلك بميدان تربوي أكاديمي، أو إداري. والعملية التربوية بكل مكوناتها المختلفة بحاجة ماسة لعملية التقويم بغرض فحص كل مكونات العمل التربوي من برامج وطرق التدريس أو تحصيل المتمدرسين.

ويختلف الأفراد في إعطائهم مفهوما للتقويم **Lévaluation** إذ يربطه بعضهم بالعلامة أو النقطة التي تمنح للمتمدرس، فهو طبعا أشمل من ذلك، يرمي لجمع معلومات حول كل ماله علاقة بجهود المتمدرس دراسيا، وتحصيله، وهو كما يرى بندور **Bandura** جمع معلومات ضرورية كافية منتقاة من مجموعة الاختيارات. فالتقويم السديد هو الذي يأخذ بعين الاعتبار العديد من المدخلات سواء منها المعرفية أو السلوكية الوجدانية، كذلك فإن

نجاح هذه العملية يتخذ قرار الانطلاق من الأهداف التي حددنا، والتقويم هو الذي يبلغ لنا هذه المعلومات. (سرير، 1995، ص87).

يهتم التقويم في الميدان التربوي بقياس درجات التلاميذ في مجال التحصيل، وكذا المشاركة البيداغوجية البحتة التي تتم في القسم والتي عادة ما تبنى من خلال عمله من السلوكات التي نضبطها تحت مفهوم التفاعل الصفي الذي يكون سواء بين المربي والتلميذ أوالتلاميذ فيما بينهم ويكون التقويم في هذه الحالة ينطلق سواء من خلال الدرجات التي يتحصل عليها التلميذ في الامتحان أو من خلال النشطات العلمية والسلوكات الفردية الصادرة من التلميذ خلال عملية التعلم، كل هذا يؤثر بطريقة مباشرة أما على المسار الدراسي أو النفسي الاجتماعي للمتمدرس. إن المدرس في تفاعله مع المتمدرس قد يصدر أحكاما غير عادلة تجاه التلميذ سواء تعلق الأمر بالدرجات التي يقدمها للتلميذ مقابل عمله، أو من خلال بعض السلوكات التي يقوم بها التلميذ ويعتبرها المعلم سلبية وغير منضبطة في رأيه وهذا ما يؤدي به إلى بناء اتجاهات سلبية مبنية على الذاتية تؤثر على سلوكاته وتجعله يثور، يغصب، ينفعل، وفي بعض الاحيان يسلك سلوكات عنيفة تجاه المربي والمتمثلة في العنف الجسدي اللفظي أو المعنوي.

العلاقـــات: إن الحياة الدراسية التي يعيشها التلميذ تحمل في طياتها العديد من التفاعلات وحركية واسعة بين المعلم والتلميذ بحكم التواصل المباشر فيما بينهم، والأحداث والخبرات المتكونة في بعض المواقف اليومية. إن المستوى العلائقي داخل المدرسة والقسم خاصة لا يتوقف عليه فقط مصير التلميذ التعليمي، فهو يساهم في بتوفير الظروف كذلك في جذب التلميذ والارتياح النفسي للمحيط المدرسي، وإكساب ثقة المعلم، لان اثر المدرس كما يرى

مينغات **Mingat** 1987 قويا ودائم ولا يتأتى هذا الأثر إلا بقدرة وقوة جهود يقوم ببذلها، وحسن تسيير قسمه والتكفل نفسيا واجتماعيا بتلاميذه وخلق بيئة تفاعلية تقوم على حرية التواصل والاحترام المتبادل. وقد أشار هنري فايول **H.Fayol** إلى مدى أهمية هذا التفاعل والذي لقبه " بروح الجماعة "، لذا، كان من الضروري أن تبنى هذه العلاقة على الثقة والتقدير من الطرفين وتفهم المعلم لتلاميذه و العدل في التعامل معهم، فأي خطأ يصدر منه ضد التلميذ بامكانه الإساءة إلى شخصه وقد تأكد لغريلي **Grilly 1980** إن حكم المعلم ونظرته لتلميذه تؤثر بدرجة كبيرة في سلوكاته وبالتالي في طبيعة العلاقة التي تربط المعلم بتلاميذه، كما تسمح هذه العوامل بتكوين الرضا عن اشباع حاجاتهم، فالمتمدرس يعيش هذه الحالة بطريقة وجدانية تؤثر بطريقة أو بأخرى على كيفية تكوين اتجاهات التلاميذ وقيمهم ومثلهم من خلال الخبرات التي يمر بها في المدرسة، وخاصة تلك التي تجرى داخل القسم. وانطلاقا من هذه التعاملات والتفاعلات يستجيب المتعلم تجاه المعلم فقد تتمثل في ثورته ضد معلمه أو في تبنيه لسلوكات عنيفة أو التهديد سواء كان ذلك لفظيا أو جسديا، وهي استجابات تعبر عن سوء تكيف التلميذ للمحيط المدرسي، وللمعلم قسط كبير فيه.

وقد توصلت نتائج هيرمو إلى أن سوء معاملة المعلم للتلميذ تؤدي به الى كرهه ونفوره وقيامه بسلوكات سلبية يميزها العنف و الهمجية، كما تنتج عن تذبذب هذه العلاقة تطرف علائقي من تسلط واستهزاء أو توبيخ على سوء تكيف المتمدرس وثورته. تزداد حدة ضجر التلميذ وغضبه استجابة لنوع من الأسباب التي يتعامل بها كتوبيخه لتلميذه محاولة منه للومه و لتعديل سلوكات مخلة بنظام القسم أو تصرفات معارضة لمكانة وهيبة المدرس أو لجماعة القسم محاولا الانتقام من الخطأ في حقه أو انعاته بشتى أنواع التحقير والغباء

والسخرية. إن أسلوب كهذا لا ننتظر منه إلا استجابات و تأثير سلبي على شخصية التلميذ وسلوكاته المحبطة (**Gauchet, 1999, p 16.**).

إن ظاهرة العنف في الوسط المدرسي كمشكل، ساهمت في ظهوره بعض العوامل والمحيط المدرسي هو بدوره له قسط في تأثيره السلبي على المعاش النفسي الاجتماعي للتلميذ بصورة أو بأخرى، ولذا على كل الأطراف المعنية كل حسب ميدان تخصصه أن تعمل جاهدة للتخفيف من خطورة هذه العوامل والوقاية قبل الوقوع تحت سيطرتها.

المراجــع:

1 – أحمد يحي خولــة. السلوكات الانفعاليــة، دار الفكر للطباعة و النشــر، .200

2– مصطفى حجازي. التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنســان المقهور، معهد الإنماء العربي، .1980

3– سرير محمد شارف، خالدي نور الدين، التدريس بالأهداف وبيداغوجيــة التقويم، ط2، معسكر، 1995.

4 – طريف شوقي، وعبد الحميد محمود السيد. علم النفس الاجتماعي المعاصر، ط1، القاهرة، ايتراك للنشر و التوزيع، 2003.

5 – **Alain Guillotte. Violence et Education; incidents, incivilités et autorité scolaire dans le contexte scolaire, presses universitaires de France, 1999.**

6 – Gauchet, M, l'Education et l école, presses universitaires de France, 1999

7 – Hacker, S, Maitriser la Violence à l'école, Deboeck & Larcier ,1972.

8 – Jamine, p, La Psychologie de l'Enfant et l'adolescent, P .U .F .1986.

9 – Phillippe lebailly, La Violence des Jeunes, comprendre et prévenir, Editions A .S . H. 2001.

10 – Serceeau, Michel, La Violence à l école, toute réflexion faite, Edition Corlet, 2000.

11 - Toraille R, Sociologie de l' école, presses universitaires de France, 1980.